

الطفل العربي واستراتيجيات استقبال الثقافات الوافدة

حمر العين خيرة

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

كثيرة هي الملكات التي تدخل في تشكيل الوعي الإنساني . ولعل أهمها ملكة العقل، فعندما يأتي الإنسان إلى الوجود، لا يكاد يدرك منه شيئا امتثالا لقوله تعالى: " والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون " (النحل) وهو ما يعكس حركية العقل في تفعيل الغرائز والعواطف والحواس وتحويلها إلى مادة تركز جهد الإنسان لفهم العالم وتعمل على تهيئته للتكيف مع ما يتلقاه من الأفكار و الصور إلى أن يصل إلى تشكيل موقف من الوجود باختبار الرؤيا الواعية لصياغة مفهوم كلي وشامل لتناقضات الحياة، كما ينشأ عن هذا الفهم تصور المعنى الخالص للمثل والمبادئ والقيم التي تستقيم بها السلوكيات وتنو بفضلها المهارات المكتسبة للفرد داخل كل المجتمع . غير أن الظروف التي يولد فيها الإنسان تختلف باختلاف البيئات والمرجعيات والأسس الحضارية لتلك المجتمعات، بحيث يكون لكل منها تأثيراتها في مستويات، التلقي المعرفي والجمالي والتحصيل العلمي للطفل.

فكيف نوجه طاقات أطفالنا في إكتساب المعارف؟ وكيف نتعامل مع ميولهم ومواهبهم ونوجهها التوجيه الملائم والمبكر، خاصة ونحن نشهد كما معلوماتنا تتراجع أمامه المعرفة؟ وما الآليات التي تسهم في تنشئة الطفل العربي لتشكيل رؤيته الجمالية؟ وما مضمون الرسالة التي نبثها فيه؟ وما نوعية النظام التطبيقي لمناهج التربية وما ركائزها الحديثة؟

يشهد العالم المعاصر تحولا علميا وتكنولوجيا يرجح فضائل العقل، ويجعل بصنع الإنسان العظيم بشتي الطرائق والوسائل. وما من شك في أن القيم التي طورت مهارات الطفل القديم ليست القيم نفسها

التي تضطلع بنمو قدرات ومواهب الطفل الجديد لأنه لا يتعامل مع المعطيات ذاتها، كما أن مستويات التلقي لدى أطفال القرن تحتاج إلى مكتسبات جديدة تتوافق مع ما تشكل لديهم في مثاهم الأول.

فما أهمية التربية؟ وما دورها في تطوير ثقافة الطفل، وترسيخ مبادئ الجمال لديه بما يجعلها مرجعية ثقافية لتحسين أفقه، وسمو قيمه، ورفي تأملاته؟

لقد طور علماء النفس والتربية مفاهيم قيمية وجمالية تركز على تنمية النشاط الذوقي والذهني للطفل منذ بداية تشكيل مثاله الأول. وفي هذا الشأن فإننا نقترح مراحل ثلاث نعتقد أنها تسهم بشكل أو بآخر في معرفة النمو المعرفي للطفل.

- مرحلة النشوء (عهد الطفولة التكويني) .
- مرحلة الإعداد (الأفق البيداغوجي والأفق التربوي للطفل)
- مرحلة الاكتشاف (أنواع التلقي واستراتيجياتها عند الطفل) .

ففي مرحلة النشوء نسترشد بنصائح علماء النفس ونأخذ بنظرياتهم، أما في مرحلة الإعداد فإن الأمر يتطلب تضافر كل المعارف النفسانية والسوسيولوجية واللغوية بما فيها مناهج التربية والقيم الروحية والأخلاقية التي نشأ عليها أبناء المجتمع الذي ينتمون إليه في حين يجب النظر بشكل أدق إلى المرحلة الاكتشاف التي يتعايش فيها لدى الطفل الواقع والحلم، وتعتريه الرغبة في التطلع، وتتفجر فيه الأسئلة، وتتعاظم لديه الدهشة: دهشة السؤال وغزيرة التعلم والخيال.

مرحلة النشوء (عهد الطفولة التكويني)

آليات تحديد الهدف لدى الطفل

ينبه علماء النفس ومن بينهم أدلر إلى خطورة هذه المرحلة وحساسيتها على اعتبار أنها مرحلة تكوينية بحيث يصعب على أي ملاحظ تعيين أساليب الأطفال في تحديد أهدافهم والأدوات المستخدمة لذلك " ففي ذلك الوقت ينشأ لدى الإنسان مثاله الأول أو صورة الشخصية الناضجة التي يريد أن تكون له . وليس من الصعب علينا أن نتصور طريقة نمو هذا المثال، فالطفل لضعفه يشعر بما فيه من نقص ويجد نفسه في ظروف صعبة لا يقوى على تحملها، ولذلك يعمل لكي ينمو، ويكون هذا النمو في الاتجاه الذي يحدده الهدف الذي يختاره لنفسه والمادة التي يستخدمها الطفل في هذه المرحلة أقل شأنًا من الغرض الذي يحدد اتجاه هذا النمو. وليس من السهل علينا أن نعرف كيف يحدد هذا الهدف،

ولكن لا شك فيه أن هذا الهدف يوجد بالفعل وأنه يسيطر على كل ثانية من حياة الطفل. كذلك لا نعرف إلا معلومات ضئيلة عن القوى، والدوافع والعلل، ومواطن القوة والضعف في هذا العمر المبكر وليس ثمة مؤشرات ترشدنا إلى هذه المعرفة في ذلك الوقت لأن الاتجاه لا يحدد نهائياً إلا بعد أن يعين الطفل هدفه، ويتعذر علينا أن نتنبأ بالخطى التي سوف يخطوها الطفل في المستقبل إلا بعد أن يتحدد الاتجاه الذي تتجه إليه حياته¹

يضعنا أدلر أمام صعوبات جمة في فهم خفايا عهد الطفولة التكويني، ولكنه يزودنا من جهة أخرى ببعض المفاتيح لبلورة ملامح تلك المرحلة من خلال قوله:

"الطفل لا يرى الحالات التي أمامه في الصورة التي هي عليها في الواقع بل يراها حسب نظام خاص من الإدراك العقلي"².

"الأطفال ينظرون إلى أقوى شخص في البيئة المحيطة بهم و يتخذونه نموذجاً أو هدفاً لهم"³ بمعنى أن الطفل يولد في عالم يزداد تعقيداً، وتدفعه غريزته لاكتشاف هذا العالم والتعرف إليه بدءاً من المحيط الصغير (الأسرة). وتكمن أهمية هذه المرحلة في غموض التجربة الطفولية واضطرابها ناهيك عن تباين نظام الإدراك العقلي لدى الأطفال، بالإضافة إلى اختلاف أساليب التربية التي يتلقونها.

المؤثرات السلبية وكيفية تفادي العطب :

كثيرة هي المؤثرات التي يصطدم بها الطفل وتعيق نموه الذهني ونشاطه الإبداعي ولعل أبرزها الإحباط المبكر ومعاناة القمع...ولكن سرد المؤثرات وحتى تحليلها لا يفيد شيئاً ما لم يتوج بمراعاة الأولياء لأطفالهم مبوعي، ومحاولة النظر إليهم بعين الطفل نفسه .

عالم الطفل مثير للغاية ،ولكنه حتى وان حظيأكبر قدر من المناهج والنظريات والرؤى ،إلا أن معظم النتائج تعكس إخفاقا متكررا ،ولم تكشف إلى اليوم عن مختلف أسرارهِ .ولعل سبب ذلك في اعتقادنا أنها لم تنجز جهازا للتلقي المعرفي والجمالي للطفل وعوضا عن ذلك انغمست في إنتاج مفاهيم لتلقيه.

مرحلة الإعداد(الأفق البيداغوجي والأفق التربوي للطفل)

الأفق البيداغوجي والتربوي

تعد فلسفة التربية من أعظم مكاسب العقل البشري،وربما تتحمل المدرسة الجانب الأهم في إعداد الطفل وتنشئته .غير أن التجارب أكدت انكسار النمط أمام ضغط التوجيه وحدة الرقابة ،بخاصة ونحن لا نرى في الطفل المعاصر تلك العجينة التي نفعل بها ما نشاء ،كما أننا في الوقت ذاته نشهد موت أسطورةالطفل – الورقة البيضاء.

فما شروط تنمية القدرات الطفلية الحديثة ،وما البديل للأنماطالمكرسة؟وكيف نواجه فشل الأسر والمؤسسات التعليمية في الوصول بالطفل العربي إلى أفقتقبلية واسعة ومتعددة.

لعله من غير المجدي أن نحمل المدرسة وحدها فشل النمط وانكسار النموذج ،وربما دلت التجارب على انحسار دور الأسرة العربية وتراجعها مقابل مايعترض الطفل من عقبات .ومن المرجح أن ضعف وتهاون وتخلف بعض الأسر العربية (بالقياس إلى تفوق الأسر الغربية)من شأنه أن يحدث التباعد بين ثقافة الطفل ومستويات تلقيه المعرفي ،وبين واقع أسرته التي تعجز عن فهمه ،ومراعاة ميوله ،واكتشاف مواهبه .ولكي نحقق نتائج ايجابية علينا أن ننظر مجددا في الهياكل التعليمية ،ونظم التلقي منذ المراحل الأولى ،كما لا يجب أن نهمل اجتهادات الأسرأو تهاونها في تثمين قواعد التربية وتثبيت ممارستها ولذلك وجب مراعاة بعض الجوانب التي نعتقد إنها جوهرية .

تطوير طرائق الاكتساب المعرفي

أن حصول الطفل على المعلومات الجاهزة من شأنه أن يضعف مستويات إدراك الطفل للمسائل والقدرة على حلها ،وينقص من حيوية إقباله على المشاركة في الحل فالأهمإذن هو تنمية قدراته ،وليس إشباع فضوله بالمعلومات .وذلك هو واجب المعلم إذ لا يحق له أن يسد دهشه الطفل وحيرته أمام مشكلاته بل أن يترك له فرصة الاجتهاد بجهده الخاص في استخدام مهاراته.وربما وجدنا لدى الباحثة ألمابنجاهام التصور نفسه من خلال قولها : "يجب أن نعتزف بحل المشكلات كجزء هام في المنهج التعليمي ،لان المشكلات الشخصية القائمة والتي لها تاثير في عقول الأطفاللومجهداتهم ،قد يكون لها دخل كبير في عملية التعليم ،ولان حل المشكلات هو في حد ذاته طريق فعال لتنمية القدرات الفردية " ⁴

مراعاة النزعات الطفلية

يعتبر " التقليد" من أبرز تلك النزعات، بخاصة عندما تنشأ لدى الطفل القدرة على مشاركة، وتحقيق له الرغبة في الكلام. فإذا كنا ملزمين في مرحلة تشكيل مثاله الأول بمرعاة نظام الإدراك العقلي لديه، فإننا في هذه المرحلة مطالبون بمرعاة العمر العقلي له " فالطفل ميال بطبيعته إلى التقليد والمحاكاة، وخصوصا في سنواته الأولى بالمدرسة لذا وجب استثمار هذه النزعة وهذا الميل لدى الطفل لنجعله يحاكي المعلم في مظهره اللائق وفي كلامه اللطيف وفي معاملته الحسنة وفي ذوقه السليم ففي السنتين الأوليتين يجب الاقتصار على الناحية العاطفية لأن الطفل في هذه المرحلة يكون سهل الانقياد كثير المحاكاة، سريع التأثر، ضعيف الإدراك، قاصرا عن الفهم الحقائق فهما موضوعيا مجردا" ⁵

دعم القدرات الفردية

يتميز بعض الأطفال عن غيرهم بالموهبة والعبقرية والذكاء، ولكي لا تنطفئ فيهم هذه الشعلة وجب على الأولياء والمعلمين الإسراع في تبني هذه المواهب وتشجيعها بتقديم فرص التنافس، وتهيئة المناخ العلمي لامتحان كفاءتهم .

وبالإضافة إلى هذه الجوانب التي نعتبرها جوهرية هناك بعض العناصر التي لا تقل أهمية والتي تستدعي إسهام الأولياء في تجسيدها:

- معرفة ميول الطفل خلال الأسئلة التي يثيرها والأشياء التي ييدي الاهتمام بها.
- توجيه هذه الميول باستغلال فرص الذكاء.
- تغذيتها ومراعاتها بالطرق السليمة والمناهج العلمية
- مساعدة الطفل على اكتساب مهارات جديدة وتوسيع آفاقه وميولاته الشخصية .
- تزويده بالوسائل والأدوات الحديثة .
- تشجيعه على حل مشكلاته ودفعه إلى اتخاذ المبادرة.
- تحريضه على روح المنافسة العلمية .
- حثه على المشاركة في مختلف الأنشطة المدرسية ، بخاصة ما يتلاءم منها مع ميوله ورغباته وحسه الذوقي .
- تأصيل القيم الجمالية والمثل الروحية، وتغذية وجدانه بالفنون والملاحم والصور البطولية .
- الكف عن الرقابة التي تضع الطفل في موقف لا يميز فيه بين الخطأ والصواب إلا في ضوء ما يحدده الكبار، بمعنى أن نترك له حرية التصرف بنفسه وليس بالاعتماد على حلول الأولياء مما يكسبه الثقة بالنفس ويزيد من مهارته التأملية .
- عدم التفريط في حريته تفريطا يؤدي به إلى التسبب والاستهتار، وعدم الإفراط في مراقبته بالشكل الذي يجعله عاجزا عن الإدراك الحل أو تجاوز الموقف .
- تهئية الطفل وتقديره الأمر الذي يكسبه الثقة المتزايدة ويدفعه إلى الاجتهاد أكثر مع المرونة في تعامل وعدم الإفراط في القسوة.

الأفق الترويحي وأوقات الفراغ:

إن أساليب استغلال الآفاق الترويحية من شأنها أن تساعد الطفل على إشباع حاجاته النفسية للعب والترويح، وبوسعها أن تسهم في تنشيط تأملاته وإبراز إمكانياته الإبداعية وتحدر الإشارة إلى أن الإخفاق الناتج عن الإحباط مرده حرمان الطفل من ممارسة حقه في اللعب، أو حصر أفقه الترويحي بما لا ينسجم مع تطلعاته بخاصة عندما تفرض عليه نوعية الألعاب والهوايات " فاللعب الانفرادي يبدأ بين (4-6) سنوات وفيه تظهر القدرة على تخيل وحب الاستطلاع بينما تنقلص النزعة الانفرادية من (7-10) سنوات حيث يبرز التعطش لألعاب المغامرة"⁶، ولا شك في أن التربية الحديثة تبذل قصارى جهدها لتحقيق التكامل بين الرغبة الطفل وميولاته، وبين ما يتلقاه من المعارف والأفكار القيم ولذلك فإن على هذه المدرسة الانتباه إلى الحس الجمالي لدى الطفل وتنمية ذوقه الفني والخيالي، وتشجيعه على الابتكار، وتوجيه تأملاته نحو إثارة السؤال.

كما أصبح من بين أهم وظائف الأسرة الإمام بآفاق الطفل، بخاصة فيما يتعلق بفن الترويح بحيث يجب علينا الاهتمام بنوعية البرامج المختارة وبأولويات تلبية الرغبات مقابل الحاجات. فقد تقدم للطفل برامج تلفزيونية وهو يرغب في المسرح وقد تفحمه في الرياضة وهو يحب الغناء، وقد تفرض عليه ألعاب الفيديو وهو يتطلع إلى رسم.... الخ.

بالإضافة إلى أن التكفل الحقيقي بالطفل يبدأ منذ التشكل الجنيني حيث تشرع حواسه في الإنصات معبرة عن الوجود الحي لقوى الإنسان معلنة عن علاقة " تبدأ" ومشروع كائن " ينشأ" ويستمر هذا التكفل بعد الولادة بالحب والإشباع الغريزي الكامل والحوار والمصادفة .

مرحلة الاكتشاف (أنواع التلقي واستراتيجياتها عند الطفل):

تنمو حواس الطفل، وتتطور قدراته، وتبدأ ميولاته وتطلعاته في إعطاء الصورة الحقيقية لشخصيته، أو على الأقل تشرع في تحديد الهدف الذي يظل غامضاً في مرحلة النشوء. ولذلك فإن متابعة الطفل في هذه الظروف من شأنها أنها تحافظ على توازنه الروحي والنفسي بخاصة وهو يدخل أفق التلقي المتعدد

وقد يكون من الصعب اكتشاف مولاته ومواهبه، غير أن تعبيره عنها بمختلف الطرائق والسلوكيات كفيل بتعيينها، وهنا يبرز دور الأولياء والمربين في تحسين مهارته، واستغلال فرص التفوق لديه .

وإذا كانت القيم- على اختلاف مشاربها - تشكل جزءا كبيرا من ثقافة الطفل فإنه يجب علينا أن نعرف كيف نهيئه لأنواع التلقيات بدلا من أن نهتم بإشباعه وحسب .

أنواع التلقي

التلقي القيمي :

تصر المجتمعات- مهما بلغت من الحضارة والتطور التقني- على الحضور القيم في حياته وينشأ لدى الإنسان منذ الصغر إحساس بالحاجة إلى أساس في الاعتقاد.

وربما كانت القيم الجمالية والروحية هي مصدر ذلك الإحساس أما الغاية منه فهي نشدان الكمال بما يكفل للكائن توازنا لوجوده واستقرارا في حياته .

ومن الواضح أن القصور الطفل عن الإدراك يجعله متعلقا بسلوكيات الكبار " فسلوك الطفل وفكرته عن المعنى القيمي للسلوك إلى حد ما ينشآن عن أثر السلطة الفردية"⁷ وهكذا فإن إدراك الطفل في سن مبكرة سوف يركز إلى فعالية التقليد. وبذلك فإن التلقي القيمي يبرز بشكل أعمق من خلال الاتجاه السلوكي الذي ينتجه الطفل متأثرا بصورة مباشرة بسلوكيات الأفراد الناضجين. وقد أشار بياجيه لهذه العلمية من خلال قوله: " الطفل عندما يتعلم الطاعة فإنه يكون ما يسميه (بولروين) الذات المثالية أعني ذاتا خاضعة لآراء الراشدين. ومعنى آخر ذاتا مأخوذة من ذاتهم العليا"⁸ أما من حيث الجانب التربوي فإننا نلمس انتقال القيم من الفردانية إلى الشمولية بغرض تكامل نمط التلقي القيمي لدى الطفل ولعل " تصنيف وايت المطور هو الأكثر شيوعا في أدوات الباحثين والمربين وتضم منظومة القيم في التصنيف ثماني مجموعات هي : مجموعة القيم الاجتماعية والقيم الأخلاقية، والقيم القومية - الوطنية، والقيم العلمية- الاقتصادية⁹ وتركز ثقافة الطفل العربي بدورها على حيوية القيم ودورها في

تقويم سلوكيات الأطفال وأيضا انعكاساتها الايجابية على مستوى تفكيرهم ومواقفهم الأخلاقية. لا سيما وهم يتمتعون بالاستعداد والاستجابة .

ومراعاة لهذه القيم، يجب الاهتمام بعنصرين أساسيين:

- تطوير مناهج الاكتساب القيمي والابتعاد ما أمكن عن التلقين بالإكراه، وإنما بتكريس سبل الرغبة والحس الجمالي .
- تهيئة المحيط الأخلاقي الخصب لامتناس إقبال الطفل على التعلم .

التلقي المتعدد

عادة ما يختار الأولياء في مواجهة تطلعات أطفالهم ورغباتهم بخاصة مع تزايد اختلاف المشهد الحضاري، وتحدي ثقافة العصر. فكيف نخلق انسجاما يؤلف بين الفطري والاصطناعي في الطفل؟ وما الخيارات التي نتخذها لانتقاء الأفضل؟ وكيف نحدد أهمية "الأفضل" الذي نسعى إلى اكتمال أطفالنا في كنفه؟

أسئلة كثيرة ينم أغلبها عن قلق الأسر العربية إزاء ما يتعرض أطفالنا من تغيرات في مختلف الميادين، مما قد ينعكس سلبا على سلوكياتهم وقيمهم ومستقبلهم الحضاري.

لا مناص للطفل من التلقيات المتعددة، فهو يطالع الكتب، ويشاهد التلفاز والعروض المسرحية، ويبحر في الانترنت بغية إشباع فضوله المعرفي، وتنمية ذكائه وينخرط في الأنشطة الرياضية والموسيقية لتقوية روحه، ورقى إحساسه. ولكن مع كل هذا فإن الأطفال ليسوا على مستوى واحد من العاطفة والذكاء. ولذلك فإن ممارساتهم لاختلاف المواهب، وميولاتهم تكشف عن نمط شخصياتهم، ونوعية تركيباتهم النفسية ومدى تكيفهم وقدرتهم على التعايش الاجتماعي. من هنا يجدر بالأولياء التقرب من الطفل وكسر حاجز الخوف والحنجل لديه، ومن واجبهم أيضا تشجيعهم على الاطلاع المبكر وتكريس عادة القراءة عندهم.

الطفل القارئ

سؤال القراءة عند الطفل مرتبط بنمط الكتابة ومضمونها، وشروطها من حيث أن مضمون الكتب المختارة للمطالعة يختلف حتما عن تلك التي نعدّها للمثل التعليمي وعليه فإن ما يميزها هو الفضاء الحر الذي ينسجم مع ميولات الطفل ومخيلته، ويسمح لهبتوظيف ذكائه ويساعده على ابتكار المواقف، ونسج الأفكار، وإيجاد الحلول وتعيينه على تحقيق استجابة ملائمة تثير فيه الأسئلة، وتفجر فيه روح المغامرة .

- علينا ببساطة أن نكتب أحلامهوتصوراته ، كما يجب أن ننتبه لعبقريته وذكائه فلا نقمع فيه رغبة الاستماع والتذوق ، ولا نهمّل قدرته على الابتكار وذلك بإقامة حوار مفتوح معه بغرض خلق استجابة ايجابية وألفة تسهل عليه التعبير عن ذاته ، وتساعده على استحضار طاقاته ، وتحديد تأملاته. فيكون في استطاعتنا بعد ذلك توجيه ميولاته وإشباع رغباته بما يثري مواهبه ويدفعها إلى الابتكار الخلاق.

كيف يألف الطفل الكتاب؟

تلعب مكتبة القارئ الصغير الدور الفعال في جذب الأطفال وإغرائهم بالمطالعة ، ولقد ألح المختصون على أهمية هذه المكتبة من حيث التأثير على الألوان والصور

والأشكال الهندسية واللوحات المنتشرة على جدرانها، وغيرها من أنواع الإثارة وزرع المتعة التي تهيب القارئ الصغير لألفة الكتاب. ولكن من غير المجدي أن ينزوي طفل مع كتاب لينقطع عن الخارج معتقدا أن عالم الكتاب لا بديل عنه كما أن النفور من القراءة من شأنه أن يولد نوعا من قصور النظر وضعف التأمل.

ماذا نكتب للطفل ؟

لقد أصبحت الحياة أكثر تعقيدا من الأدب ولعله بسبب ذلك لم تعد الحكاية تحتل المساحة نفسها من الدهشة والثراء. فما نوع الأدب الذي ينتظره الأطفال؟ وكيف نخترق أفق تلقيهم بحسب مراحل أعمارهم؟. لقد بات على عاتقنا اليوم أن نشجع إقبالهم على البحث وذلك بأن نبث فيهم القلق بدل الاطمئنان، وأن نجفر فيهم الأسئلة بدلا من أن نتركهم لإجابات جاهزة. وإلى جانب ذلك فإن اختيار الموضوعات يخضع لاعتبارات عدة من بينها عفوية الأسلوب، وسلاسة اللغة، وبساطة الحوار. وفي تقدير بعض الباحثين فإنه لا توجد مواصفات دقيقة يتحلى بها الكاتب أدب الطفل، ولكنهم يصرون على مراعاة مراحل نموه النفسي واللغوي كما يتفقون على انه كاتب الذي يرى بعين الطفل، ويحلم أحلام الطفل، ويسمع بأذنيه ويلمس بيديه ويشعر بآلامه وآماله وهو القادر على توصيل المادة البسيطة إلى الطفل وتحويلها من مجرد فكرة إلى فن وأدب رفيع يهدف من خلاله إلى تنمية قدرات وخيال الطفل وزيادة حصيلته اللغوية وتعريفه بالبيئة المحيطة به بدوره في المجتمع وبواجباته وحقوقه، وإرشاده إلى السلوك المرغوب فيه¹⁰

وانطلاق من هذه التأملات فإنه يقع على عاتق المؤسسات المختصة في الكتابة للطفل مراعاة ما يلي :

- العمر العقلي للطفل (تباين فئات الأعمار)
- التنوع والفروق الفردية (مهارات، تفوق، ومواهب.....)
- المحيط الاجتماعي والحضاري
- التأمل والحس الجمالي .

الطفل المشاهد

يشغل التلفاز حيزا واسعا في حياة الطفل، ويسيطر على معظم يومياته، وليس من حل أمثل لتوضيح هذه العلاقة وتجربة التلقي التي تستميل الطفل أكثر من أي شيء آخر سوى معالجة هذه التجربة في ضوء رؤيتين رئيسيتين هما انعدام التواصل اللغوي وتجربة العنف .

فلقد أثبتت التجارب أن التلفاز يعيق التطور اللغوي لانعدام المشاركة اللغوية من لدن الطفل، وتعتقد (مارين واين) "بان مشاهدة التلفاز هي في الجوهر تجربة غير لفظية بل بصرية، وهي تجربة انبهار واستغراق تميز مشاهدة الطفل للتلفاز بحيث أنها توحى بان الإدراك الواعي النشاط والمعتاد والمفروض يفسح مكانه ساعتها لحالة عقلية هي اقرب إلى الاستغراق" ¹¹ كما تنبه (مارين واين) إلى خطوة سيطرة المشاهدة التي تفقد الطفل حركية التواصل اللفظي مع العالم وتخدم نشاطه العقلي وتضعه في حالة من التلقي السلبي الذي يركز إلى الاسترخاء والسكون . بينما يذهب احد الخبراء إلى ابعد من ذلك في اعتقاده أن التلفاز سيخلف جيلا من الأطفال دون خيال . لذلك تلجا بعض المدارس الغربية إلى إيقاظ خيال الطفل وحثه على القراءة.

أما فيما يخص تجربة العنف فيذهب بعضهم إلى أن التلفاز لا يسبب العنف ولكنه يعمق لدى الطفل الإحساس بالشر . وفي مسعاها للتأكيد على هذه التجربة تحذر segoleneroyel في كتابها ¹² "le ras – le – bol des beberzoppeurs" من نتائج العنف ومؤثراته التي تخلفها المشاهدة غير الآمنة من مخاطر تسرب الجريمة إلى المراهق . فإذا كان التلفاز حاجة عائلية فلا بد من وحدة وفراغ . فقد يحدث أن يتلف التلفاز الجيد بمعنى أن ما يعرض من برامج لا يعبر دائما عن الأفكار الجميلة والمثل العليا، ولا يستجيب لحق الطفل في الحلم ورغبته في الجمال.

وتضيف "سيقولان رويال" بان المسؤولية تقع على عاتق النخبة، فهي مطالبة بانتقاء نوع الفن والثقافة التي يتلقاها المشاهد الصغير في مختلف مراحل عمره . كما تلقي المسؤولية على الأولياء أيضا وتنصح لهم بمشاركة أطفالهم متعة المشاهدة، والاهتمام بهم بدل الزج بهم إلى التلفاز، وحثهم على أن يكونوا اقوى من تأثيرات الشاشة عليهم.

غالباً ما يقع الأطفال ضحية ما يعتقدون انه الصواب .ومن واجب الأولياء تعاطي اللحظة الطفولية لترك الطفل حرية التداعي الفطري.وينبغي أن يضعوا في الحسبان تأملاته ،واستفساراته،وفضوله،وأسلته المتكررة ،وذلك بالإصغاء إليه ،والتحدث معه.وان تتعاون الأسر مع المدارس في خلق فضاءات تروحية تفسح لهم مجال الرؤيا وتعينهم على استباق الزمن في فهم عالمهم وما يحيط بهم .وإذا كانت فضاءات الانترنت هي من أكثر الأندية انتشاراً فلا يعني انه باستطاعتها تحصين الطفل،فمن الممكن أن تعمل تلك الأجهزة على تعطيل حسه التأملية بما تغدقه عليه من معلومات جاهزة ،كما قد تسلبه إرادته في التطلع المعرفي بتحويله إلى مجرد متلق سلبي.

وهكذا فان مرحلة الاكتشاف ،خاضعة لاعتبارات ومعطيات جمة يتعلق معظمها بطبيعة الأطفال ، وأنماط سلوكياتهم ،ومستوياتهم المعرفية ،ومؤهلاتهم ومهاراتهم فالميل التي يعبرون عنها والمواهب التي يمارسونها ونوعية التلقيات التي ينسجمون معها كفيلة باكتشافهم.لذلك وجب على المعلم والولي تكريس الجهد الكافي بإيجاد الحلول الملائمة منهجياً وحضارياً لتطوير الطفل العربي ،وتهيئة نظام سلوكي لفهم عالمه ،وتنمية قدراته ،ومهاراته بما يتناسب والتحديات المعلنة للقرن الحادي والعشرون.

¹ ادلرأدلف:الحياة النفسية تحليل علمي ،دار المجد(سوريا) ط1،1985، ص12-13

² المرجع نفسه ص13.

³ نفسه ص22 .

⁴ ألما بنجاحم : تحسين قدرة الأطفال على حل المشكلات / تر : احمد مصطفى سلمان النهضة 1965، ص5.

⁵ عبد الحكيم مصطفى: الطفل بين البيت والمدرسة ،مجلة التربية ع99 سنة 1991 ينظر ص 157.

⁶ انور حموديكديمي :الاستفادة من اوقات الفراغ عند الاطفال /مجلة التربية ع99 سنة 1991 ص149.

⁷ عباس الشماس :انتقال القيم إلى الأطفال وتمثلها /مجلة بناء الأجيال (سوريا) ع15 سنة 1995 ص28 .

⁸ ينظر المرجع نفسه ص29.

⁹ عبد الله أبو هيف :نحو تخطيط قيمي قومي لتقافة الأطفال /الأسبوع الأدبي (سوريا) ع315 سنة 1992.

¹⁰ ينظر :الطفل بين التربية والتثقيف (استطلاع صحفي)مجلة التربية ع104 سنة 1993 ،ص68.

¹¹ ينظر :صباح السقا: التأثيرات النفسية للتلفاز على الأطفال /مجلة التربية ع99 سنة 1991 ص160 .

¹²Ségolène Royel le ras -le -bol des bébérzoppeurs éditions robert lof font paris 1989